النّداء الخالد

محاضرة المرجع الديني سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الفاتحة الى أرواح المؤمنين والمؤمنات

بالأخص المرحوم أيمن سعيد عبد الكريم آل ابراهيم

المرحوم الشهيد عبد الله سعيد عبد الكريم آل ابراهيم

النّداء الخالد

من محاضرات سماحة آية الله العظمى

السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله العالي

إعداد: مؤسسة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله الثقافية ـ الدينية / كربلاء المقدسة

منشورات: مؤسسة أم أبيها عليها السلام الثقافية ـ الخيرية

الطبعة الأولى / محرم الحرام ١٤٤١

عدد المطبوع: ١٠٠٠٠

تجليل وتقدير

بالمناسبة المؤلمة والمصيبة الكبيرة، استشهاد النبي الأكرمﷺ، وسبطه الأكبر الإمام الحسن المجتبىعليه السلام، أرفع إلى المقام الشّامخ والرّفيع للإمامة والعصمة، الإمام الحجّة بن الحسن العسكريعجل الله فرجه الشريف، أسمى آيات العزاء، وإلى جميع شيعته، وأسأل من الله تعالى المواساة للإمامعجل الله فرجه الشريف ولشيعته.

بادئ ذي بدء، أرى من واجبي أن أعرب عن تقديري وإجلالي لمقيمي شعيرة الأربعين المقدّسة في كل نقطة من نقاط العالم، سيّما أولئك الذين وُفّقوا إلى زيارة سيّد الشهداءعليه السلام، بالمشي أو الركوب من جميع أنحاء العالم، وأن تكون هذه الزّيارة ذخيرة لآخرتهم، وأن تكون حفاظاً على حياتهم وبركة. وأرى من واجبي الدّيني أن أشكر جميع الذين قدّموا بأيّ شكل من الأشكال خدمات للزّائرين، سواءً ببذل المال أو تجهيز وترتيب سفرهم، أو أيّ خدمة أخرى.

أتمنّى لهم الصحّة والتّوفيق والنّجاح، وأدعو الله تعالى لهم بكلّ الخير، وكذلك للنساء والرجال الذين حاولوا نشر وتبليغ هذه

الشّعيرة المقدّسة، وقاموا بمختلف أنواع الأنشطة الثّقافية في هذا المجال، ونشروا ثقافة الإسلام التي هي نفس ثقافة الله عزّ وجلّ، وأهل البيتعليهم السلام، والقرآن الكريم إلى العالم.

كما أسأل الله تبارك وتعالى أن يجزي العمل المقدّس للذين يضحّون من أجل تصحيح عقائد الناس، وتوضيح المسائل الشّرعية لهم، وأقاموا صلاة الجماعة، وشرحوا أخلاق وصفات أهل البيتعليهم السلام، وذكروا لهم سيرة الأنبياءعليهم السلام، وكل الذين عملوا على زيادة معرفة وثقافة النّاس.

ثانياً: الذين قدّموا الطّعام، ووسائل راحة وإقامة الزّائرين، سواءً أولئك الذين فعلوا هذا العمل بطاقاتهم وجهودهم وأموالهم وكثيراً من الأمور الأخرى، وسواءً الذين استقرضوا الأموال لكي ينفقونها على هذه الشعائر المقدّسة، إنّهم يستحقّون منّا الثّناء والتجليل والتّقدير وكلّ الاحترام.

آمل من الله العلي القدير سبحانه وتعالى أن يبارك لهم في أموالهم ومتاعهم في الدنيا، وأن يجزيهم الجزاء الأوفى في الآخرة، إنّه سميع مجيب الدعاء.

اقتراض المال لإقامة الشعائر

ليس على الإنسان أن يستقرض من أجل المشاكل الحياتيّة والمعيشية، وإنّ ضغوطات وضرورات الحياة، والمشاكل كالأمراض، والحوادث الماليّة والجسمية، وكثيراً من المسائل العويصة والمريرة، أو حتى الجميلة للحياة، التي تحدث للإنسان في حالة من العوز والبؤس، فإنّه من الأمر الطبيعي أن تجبره كلها على الاقتراض، وليس فقط يقترض الشخص الذي ليس لديه منزلاً، بل وأيضاً الشخص الذي يتحيّر في الحصول على رزق عائلته وأبنائه، أو الشخص الذي لديه مريضاً وهو يعاني من المرض المزمن، وهو بالتالي غير قادر على علاجه، فهو أيضاً يستقرض، وحتّى في الأمور الخيريّة، وقضاء حوائج الآخرين أيضاً، فإنّ الأمر يستحقّ الاقتراض، وهذا العمل الذي كان من سلوك النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسيرة المعصومين عليهم السلام.

نقل لي أحدهم بأنّ في إحدى المواكب الحسينية والهيئات العراقية التي كانت تقدّم خدمات جليلة وكبيرة للزوّار في الأربعين الحسيني، لم يك أصحابها سوى بعض الشباب، وقد اقترضوا مئات

الملايين في سبيل هذا العمل. فقلت لهم: بارك الله بهم، وهنيئاً لهم.

بالطّبع، يجب أن يسعوا لأداء دَينهم، ويحاولوا قدر الإمكان سداد ديونهم، ولكن إذا فشلوا في ذلك، ولم يستطيعوا من سداد الدين، فإنّ من وجهة نظر الشّريعة الإسلامية فإنّ المسألة محلولة، وقد وفّر الدين الإسلامي القويم والمقدّس، التّسهيلات والتّمهيدات بالنّسبة إلى المقترض في هذا الصّدد، ولكن مع هذا من المؤسف حقاً أنّه في معظم الدول الإسلامية إذا يصعب على أيّ شخص (أو غير قادر) على سداد دينه، يُسجن، أو تصادر أمواله، أو يُباع ما يملكه بالمزاد العلني، وذلك خلافاً لنصّ القرآن الكريم.

تعامل الإسلام مع المديون

يصرّح القرآن الكريم بالنّسبة إلى المَدين ودينه: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[1].

من سوء الحظ، فإنّ في بعض البلدان الإسلامية يتمّ سجن أيّ

---

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

شخص مدين عندما لا يستطيع ولا يكون له قدرة على سداد دَينه، وهذا العمل مخالف للقرآن الكريم، والمثير للدّهشة أنّ هذه الدّول الإسلامية مزيّنة وتنادي باسم الإسلام، ولكن عندما تأتي إلى آيات وكلمات القرآن الكريم، وأيضاً إجماع عامة علماء الإسلام، فإنك تشاهد أنه ينبغي أن يداري الإنسان وأن يتسامح مع المدينين الذين لا يستطيعون توفير وأداء ديونهم، ومن الطّريف أنّ الرسول الأعظمﷺ، قد قال في حديث له: «**من ترك دَيناً أو ضياعاً فعليّ**»[1].

حينما يقول أشرف مخلوقات الله عزّ وجلّ هذا الحديث، فعلى حكّام وزعماء ورؤساء البلاد الإسلامية أن يجعلوا هذا الأسلوب والأداء على رأس أولوياتهم، والقائل لهذا الحديث هو الله سبحانه وتعالى، وذلك حينما قال مخاطباً رسوله محمّدﷺ في حديث قدسي: «**يا أحمد لولاك لما خلقت الأفلاك**»[2]. والرسول الأكرمﷺ بمقامه الرّفيع ومنزلته العالية هذه، يقول: «**فإليّ وعليّ**».

١. الوافي: الفيض الكاشاني، ج٣، ص٦٥٤.
٢. الأسرار الفاطمية: الشيخ محمد فاضل المسعودي، ص١٨.

هذا يعني أنّ دين الشخص الذي في حكومتي على ذمّتي، وإذا لم يتمكّن من القيام بالأداء في دار الدنيا فعلى عهدتي، والأمر متروك لي حتى أقوم بالأداء، والذين لهم دراية باللغة العربية والقرآن الكريم والتفسير، فإنّهم يعلمون بأنّ كلمة «عليّ» هي بمعنى تقبّل المسؤولية.

أي أنا المسؤول بالقيام بالعمل الفلاني، أو أتحمّل الغرامة الفلانية، وما شابه ذلك.

هنا يتحمّل الرسول الأكرمﷺ مسؤولية دَين شخص لم ينفق دينه في الحرام، وحتى الشخص الذي يمتلك منزلاً وعلى رقبته دَين، ولكنه استهلك ماله وأنفقه في الحلال، ولا يستطيع الآن من سداده، وعلى الرّغم من أنّه كان لديه أسلوب حياة جيدة، واستمتع بالنّعم المنزلية، والإمكانات المعيشية في الحدّ المتعارف، ومع ذلك فإنّ رسول اللهﷺ سيكون مسؤولاً عن دَينه أيضاً.

إسلام فارغ

تطبيق هاتين الكلمتين وردت في آية من القرآن الكريم، حيث

يقول تعالى: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[1].

هذا حديث رسول الله ﷺ، حينما يقول: «**من ترك دَيناً أو ضياعاً فعليّ وإليّ**»[2]، إنّه يسبّب تغيّراً عظيماً، وتطوّراً كبيراً في المجتمع الإسلامي، وبتطبيقه على أرض الواقع سوف تتمّ إزالة العديد من المشاكل، والتّنافس السلبي من المجتمع، وعلى الشخص الذي استلم إدارة شؤون المسلمين، وهو حاكم وزعيم ورئيس الجمهورية على المسلمين عليه الالتزام بهاتين الكلمتين، ويعلن جهاراً: أنّ الشخص الذي عليه دَين، ولم ينفقه في الحرام، أو في طريق غير شرعي، وهو الآن عاجز عن أدائه، فأنا المسؤول عن الأداء.

وسيحدث بالتّأكيد هذا العمل تغيّراً كبيراً وملموساً في الوضع الاجتماعي للعالم. وسوف تشاهد بدل أن يهاجر المواطنون من البلاد الإسلامية إلى البلاد غير الإسلامية، فإنّ غير المسلمين سوف

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٠.
٢. الوافي: الفيض الكاشاني، ج٣، ص٦٥٤.

يلجؤون إلى البلاد الإسلامية، وسوف نرى لجوء الكثير من غير المسلمين إلى ديار المسلمين.

إذا قام العلماء والمحقّقين والباحثين الذين يتعاملون مع القضايا الاجتماعية والثّقافية للناس، بدراسة هذا الحديث للنبي الأكرم ﷺ، واستكشاف أبعاده ومكتسباته القيّمة، فإنّهم سوف يدركون قيمته، وأهميته الكبيرة والعظيمة، ولكن مع الأسف الشديد لا يتمّ تناول مثل هذه القضايا في معظم الدول الإسلامية، و انّه ما هي الرّسالة التي حملها لنا القرآن الكريم، ورسول الله ﷺ؟ وما هي الحلول التي تمّ تقديمها لحلّ مشكلاتنا الاجتماعية والشخصية، فإنّها لا تحظى باهتمام كبير، ولا برعاية سلطات ومسؤولي الدول الإسلامية. وقد أخبر رسول الله ﷺ بهذه الأوضاع والأجواء، فقال: «**سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلاّ رسمه، ولا من الإسلام إلاّ اسمه، يُسمّون به، وهم أبعد الناس منه**»[1].

١. ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ص٢٥٣.

هل أنّ اسم الدواء هو علاج للمرض؟ وهل أنّ اسم الطعام يقوم مقام إشباع الإنسان؟ أم أنّ كلمة الماء تروي عطش الإنسان؟ فإذاً اسم الإسلام وحده لا فائدة منه، ولن يفيد أحداً.

إجمالاً، هنيئاً لأولئك الذين تمكّنوا من خدمة زائري الإمام الحسين عليه السلام، وقدّموا ولو مساهمة صغيرة للمشتركين في هذه الشّعيرة المقدّسة في الأربعين، وبالأخصّ أولئك الذين لم يك لديهم المال والميزانية لهذا العمل، وقاموا بالاقتراض، وكانت هذه هي سنّة الأنبياء عليهم السلام، ولا سيّما سنّة نبينا مولانا النبيّ صلى الله عليه وآله، فقد كان في معظم الأوقات يعيش في ظلّ الصعوبات والمعاناة، وكان كلّ ما يملكه من حطام الدنيا منزلاً في مكّة، حيث قام أحد أقربائه ببيعه وأخذ ماله بعد هجرة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى المدينة، مع أنّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله هو المسؤول، والوصي على أموال الناس، لأنّه قد قال عن الصدقة: «**أمرت أن آخذها من أغنيائكم وأردّها في فقرائكم**»[1].

١. علل الشّرائع: ج١، ص٢١٧.

مع ذلك، فإنّ الاختيار والسلطة الممنوحة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله من قبل الله عزّ وجلّ، الذي يأخذ الأموال من الأغنياء، وينفقه على الفقراء والمساكين قد فتح الباب لبعض المتمرّدين من أن يعطوا لأنفسهم هذه الجرأة لكي يقوم بمصادرة أموال النبي صلى الله عليه وآله.

هنيئاً لأولئك الذين جمعوا الأموال لكي تقام هذه الشعيرة العظيمة (زيارة الأربعين المقدّسة) بحماس وعظمة وجلالة أكثر، إضافة إلى الأيام السّابقة واللاحقة بها، وأنفقوا تلك الأموال على زائري الإمام الحسين عليه السلام، وساعدوا أولئك الذين لم يكن باستطاعتهم المالية من الزيارة، ومنهم أولئك الذين استأجروا وسائل النّقل، ومنهم من استأجروا بعض الطّائرات ونقلوا الركاب مجاناً ليزوروا في الأربعين، فهنيئاً لأولئك الذين أنفقوا أموالهم في هذا السّبيل، وكذلك من لم يك لديهم الاستطاعة المالية واستقرضوا.

ينبغي بذل الجهود أكثر لتعظيم وإجلال هذه الشّعيرة المقدّسة، وجعلها أكثر روعة في المستقبل، إنّه وعد الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الشعيرة المقدّسة لتكون يوماً بعد يوم أكثر حيوية، وأكثر

تكويناً، وأكثر اتساعاً وازدهاراً، فهذا ما قاله النبي الأكرمﷺ، وفي غضون ذلك، فإنّ الشيء الوحيد المتبقّي لنا هو جعل رسالة عملنا في هذا الطريق أكثر ثمرةً، وأكثر إشراقاً، وذلك من خلال أموالنا ولغاتنا وتشجيعنا، أو بأيّ مساعدة أخرى نستطيع القيام بها. وفي بعض المناطق والأماكن من العالم التي لم تصل إليها شعيرة مسيرة الأربعين المقدّسة حتّى الآن، علينا بالسّعي الحثيث حتّى يتم فيها البدء بالمشاركة في السنة القادمة، وقد سمعنا ـ وبكل أسف ـ أنّ في بعض الدول الإسلامية لم يسمح للمعزّين بالخروج في هذه المسيرة، وفي هذه الدول التي تمنع فيها هذه الشعيرة علينا أيضاً وجوب التفاوض مع السلطات الحكومية فيها، ومحاولة الحصول على تصريح منها في السنة القادمة. وأمّا في البلدان التي توجد فيها الحرية، فينبغي بذل المزيد من الجهود لجعل إقامة هذه الشّعائر أكثر سهولة.

إنّني أشكر جميع المعزّين والمشاركين في الشّعائر الحسينية المقدّسة، وأتمنى لهم من الله العليّ القدير كلّ التّوفيق والسداد في

طريق إعلاء كلمة الإسلام، وليس فقط اسمه، إنّما الإسلام الذي مارسه عملياً، وعاشه النبي الأكرمﷺ، والإمام أمير المؤمنين عليؑ، وهؤلاء الذين نجحوا ووفّقوا في هذا الطريق. اللهم أدم توفيقهم ونجاحهم لأبنائهم وأجيالهم.

المعارض للشّعائر

هناك دائماً وفي كلّ مكان من يعارض الدين.

طاعة الكفر والدّين ليس بلا مشترٍ

فواحدٌ يحبّ هذا، والآخر يحبّ ذاك

مع الأسف الشديد أخلّ بعض الأفراد بالنّسبة إلى زيارة الأربعين الحسينية، وفي بعض الأحيان ـ نستجير بالله ـ قد آذوا أو منعوا عن هذه الزيارة، عسى أن يهديهم الله عزّ وجلّ، وعسى أن يستغفروه، ويلجؤوا إليه من خطاياهم، وعليهم أن يعتذروا من الإمام الحسينؑ، لأنّهم آذوا زائريه ومحبّيه.

بالطبع، لا ينتهي العمل هنا، وهناك مرحلة ثالثة أيضاً، وهي إرضاء الزوّار الذين تعرّضوا للأذى والإساءة بأيّ شكل من

الأشكال، لأنّ هذا هو حقّ الناس، وقد وردت في روايات عديدة أنّ الله سبحانه وتعالى لن يغفر عن حقّ الناس إلى أن يسامح ويغفر ويتنازل له صاحبه عن حقّه، مثل إذا ضرب أحدهم، أو أوقفوه عن عمله من دون سبب، فيجب عليهم العثور عليه والاعتذار منه ونيل رضاه، وهذا العمل ربّما يكون هو الأفضل من التّأخير إلى الآخرة، وقد يؤدّي فيها إلى الحساب والمحاسبة.

آمل من الله سبحانه وتعالى أيضاً لمثل هكذا أشخاص بالتّوبة والتضرّع إلى الله عزّ وجلّ، وطلب الاعتذار من الإمام الحسين عليه السلام، ونيل رضا وموافقة أصحاب الحقوق.

في هذا الصدد، فإنّ (الصحيفة السجادية) مليئة بالمواضيع، والأدعية القيّمة، التي تفتح الباب على مصراعيها أمام توبة العاصين والمذنبين، ولن يتحقّق هذا الهدف إلاّ من خلال البكاء، وطلب التوسّل من الإمام الحسين عليه السلام، والعثور على أولئك الذين ظُلموا، والتّعاطف معهم، ونيل رضاهم.

هنا أذكر لكم قصة من إحدى آلاف القصص ممّن أساؤوا معاملة

زوّار الإمام الحسين عليه السلام، ورأوا بأمّ أعينهم عقوبة صارمة وعاجلة، وقد وردت في كتاب مطبوع بعنوان (المآثر الكبرى) لمؤلّفه المرحوم الشيخ ذبيح الله المحلاّتي ـ وهو من تلامذة المرحوم الميرزا محمّد تقي الشيرازي قدس سره في مدينة سامراء، ومن المعاصرين للمرحوم الوالد قدس سره ـ، قد ذكر فيه عيّنة من أولئك الذين أساؤوا وآذوا الزّائرين الحسينيين، وفي وقت لاحق ابتلوا بالعقوبة الصّارمة، وذلك جزاء أفعالهم.

نوى أحد الزّائرين دخول مقام الإمام سيد الشهداء عليه السلام، ووقف شخص أمامه وضربه بعصاً، فوقع الزّائر على الأرض (وأحيل القارئ الكريم إلى ذلك الكتاب القيّم للحصول على تفاصيل القصة المذكورة)، والكتاب في ثلاثة أجزاء، وقد أعيد طبعه مؤخراً.

ابتُلي الشخص المذكور (الضارب) بالعقوبة جزاءً لإساءته إلى زائر الإمام الحسين عليه السلام، وأفسدت حياته، ونغّصت عيشه، وزار المعارف والأقرباء ذلك الزائر المعتدى عليه، وتوسّلوا إليه، واحتضنوه، ولكن من دون جدوى، وقد أصيب الزّائر، ولكن

معارفه أسقطوا حقّهم، وتنازلوا عنه، ولكن الله سبحانه وتعالى والإمام المعصوم عليه السلام لم يسقطا حقّه، والقرآن الكريم يتحدّث عن عدالة الله تبارك وتعالى، الفريدة من نوعها، ويقول عز من قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[1].

ويقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾[2].

والخردل هو عقار رمادي اللون مع حبوب دقيقة كمثل «الخوبة أو الخبة»، ويقول الله سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركة: إذا كانت أفعال الإنسان متناغمة ومنسجمة كحبّة الخردل، فليس نحن فقط نعدّها بل سوف نقوم بعرضها أيضاً، ومع هذا الحساب الدقيق فإنّ الإساءة إلى الشعائر الحسينية لن تُترك من دون عقاب عند الله عزّ وجلّ.

---

١. سورة النساء: الآية ٤٠.
٢. سورة الأنبياء: الآية ٤٧.

على أيّ حال، فإنّ الله سبحانه وتعالى يضع أولئك الذين أساؤوا، أو قاموا بالإحباط والتسقيط، أو تسبّبوا في شكل من الأشكال بالمشاكل والمصاعب أمام طريق المعزّين والزوّار، تحت ظلّ هدايته وغفرانه.

جزاء إحباط الناس

إنّ إحباط زائر حسيني واحد وتثبيط عزيمته، وزرع بذرة الشكّ والترديد في قلبه، له عقوبة صارمة وثقيلة عند الله عزّ وجلّ، وأولئك الذين يدخلون كلمة «لا» في قلوب الزّائرين، ويشوهم عن الذهاب إلى الزيارة، فإنّهم بالطّبع تحمّلوا وعانوا من خطأ فادح، ومكلّف للغاية، وفي بعض الأحيان فإنّ قول كلمة «لا» سوف يدمّر دنيا الإنسان وآخرته.

أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ــ الذي روى الكثير من الروايات عنه، وعمل فقهاء الشيعة بجميع رواياته ـ قال للإمام عليه السلام: إنّ رجلاً استشارني في الحجّ، وكان ضعيف الحال، فأشرت عليه أن لا يحجّ.

هذا الشخص، الذي أبلغ الإمام الصادق عليه السلام بعمله، كان بمخيّلته هو أنّه قد قام بعمل جيّد وحسن، ولكنه لم يدرك أنه قد ابتعد عن الحقيقة والصواب، وأدلى بحديث خاطئ، وقد قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وقرآنه العظيم، عن أمثاله هؤلاء: ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً**﴾[1].

هذا الشخص مع أنه كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام كان مخطئاً في رأيه، فقال له الإمام عليه السلام: «**ما أخلقك أن تمرض سنة**»[2].

يقول الرّاوي: فمرضت سنة.

لا نتعجّب من حديث الإمام الصادق عليه السلام، لأنّ معاناة سنة واحدة من المرض أسهل بكثير من العقوبة الأخروية النّاتجة عن تثبيط ذلك الشخص عن أداء فريضة الحجّ، وكلّما رأينا العقاب جرّاء

١. سورة الكهف: الآية ١٠٤.

٢. عن إسحاق بن عمار، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ رجلاً استشارني في الحجّ، وكان ضعيف الحال، فأشرت إليه أن لا يحج. فقال: ما أخلقك أن تمرض سنة. قال فمرضت سنة». الكافي: ج٤، ص٢٧١.

خطايانا وذنوبنا في هذه الدنيا، فإنّه بالتأكيد سوف يكون مفيداً، وكذلك تحمّلها أكثر والصبر عليها، حتى ينتهي الأمر بالآخرة، فتسجلّ في وثيقة أعمالنا، وندفع عقوبتها في الآخرة، ولهذا فقد قال الإمام الصادق عليه السلام له: «**ما أخلقك أن تمرض سنة**»[1].

نعم.. كم هو جيّد لو تمرّض سنة واحدة، ولا يدفع عقوبتها في الآخرة.

من المفارقات العجيبة يقول ذلك الشخص: حينما خرجت من مجلس الإمام الصادق عليه السلام مرضت سنة واحدة، ولم استفد في تلك المدّة من كلّ العلاجات، وبالطّبع من سعادته أن مرض لمدّة سنة واحدة، ونجى من عقوبة الآخرة.

إذن فكيف إذا عرقل الشخص سير زائري الإمام الحسين عليه السلام، ودعك من هذا، فطبقاً للرّوايات العديدة الواردة عن الأئمة الطيّبين الطّاهرين عليهم السلام، إنّ زيارة الإمام الحسين عليه السلام أفضل بمراتب ودرجات من الحجّ.

١. بحار الأنوار: ج٤٧، ص٣٦٨.

في رواية عن أحد أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، يقول: سمعت الصادق عليه السلام يقول لرجل من مواليه: يا فلان! أتزور قبر أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام؟

قال: نعم إنّي أزوره بين ثلاث سنين مرّة.

فقال عليه السلام له، وهو مصفرٌ وجهه: أما والله الذي لا إله إلاّ هو! لو زرته كان أفضل ممّا أنت فيه.

فقال له: جُعلت فداك! أكلّ هذا الفضل؟

فقال عليه السلام: نعم والله! لو أني حدّثتكم بفضل زيارته، وبفضل قبره، لتركتم الحجّ رأساً، وما حجّ منكم أحد، ويحك! أما علمت أنّ الله اتّخذ كربلاء حرماً آمناً مباركاً قبل أن يتّخذ مكّة حرماً[1].

وقال الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى يتجلّى لزوّار قبر الحسين عليه السلام قبل أهل عرفات، ويقضي حوائجهم، ويغفر ذنوبهم، ويشفّعهم في مسائلهم،

١. كامل الزيارات: ص١٥٧.

ثمّ يثنّي بأهل عرفات، فيفعل ذلك بهم»[1].

على أيّ حال، نسأل من الله سبحانه وتعالى أن يوفّق أولئك الذين أساؤوا إلى زيارة الإمام الحسين عليه السلام والزائرين، إن كانوا من شيعة أهل البيت عليهم السلام إلى التّوبة والمغفرة، ويا ليت عوض عقاب الآخرة، أن يعانوا من المرض لسنة واحدة في هذه الدنيا، وأن يكون مريضاً لمدّة عام واحد، فليس شيئاً بالنّسبة إلى عقاب الآخرة، فمرض عام واحد في النّهاية قد يؤدّي إلى توقّف الشخص عن العمل والحياة، وإذا كان من أهل الدرس والقراءة والبحث والتّحقيق، فإنّه سوف يؤخّر ذلك، لكنّه بعد ذلك يستأنف في الدّراسة، ويستأنف حياته كما كان من قبل.

مفهوم: «أيها الناس»

بما أنّ الله سبحانه وتعالى أراد اختبار الجميع، فقد وقع الامتحان في قضية استشهاد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله أيضاً، وما حدث بعد

١. كامل الزيارات: ص٦٨.

استشهاده عليه السلام وانقسام المسلمين إلى مجموعتين في المجتمع المسلم كلّها اختبار وابتلاء لهم، لكي ينفصل طريق أهل الجنة عن طريق أهل النّار، وفقاً لما يصرّح به القرآن الكريم: ﴿**فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ**﴾[1].

الاختبار سُنّة غاية في الصعوبة، ولكن ليس هناك خيار آخر، وقالت الصدّيقة الكبرى السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام وذلك بعد مرور فترة من استشهاد والدها المكرّم في خطبتها القيّمة بين الناس في المسجد، وقد احتوت مواضيعها الثّمينة على نقاط قيّمة كثيرة، بحيث يكمن اعتبارها ملخّصاً لتعاليم ومناهج الإسلام، وبدأت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتها بكلمة: «**أيّها الناس**».

كانت دائرة الناس أوسع بكثير من الحاضرين في المجلس، وحتّى من عامّة المسلمين، وقد ألقت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام خطبتها بين جمع من المسلمين، ولم يكن من بين الحضور في

١. سورة الشورى: الآية ٧.

المسجد يهودياً أو مجوسياً أو نصرانياً، ويشير هذا الخطاب إلى النّطاق الواسع لحديثها، ممّا يعني أنه يمتدّ إلى أبعد من المسلمين، ليشمل جميع شعوب العالم، وحتى في مراحل مختلفة.

مثل هذه الخطب في القرآن الكريم، وكذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله قلّت نظيرها، ويقول الله عزّ وجلّ في القرآن الكريم خطاباً لرسوله الأكرم صلى الله عليه وآله:

﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً**﴾[1].

بمثل الخطاب المذكور، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً في غدير خم خاطب الناس قائلاً لهم: «**يا معاشر الناس**».

المراد من جميع هذه الخطب هو عامة الناس في العالم، وهنا فإنّ السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام التي لها مقام العصمة، وهي كالمعصومين الآخرين، أي: والدها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وأحد عشر معصوماً من أبنائها الطّاهرين عليهم السلام، لها من الله عزّ وجلّ العصمة الكبرى، فهي قد

١. سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

ذكرت في خطابها مواضيع تهمّ الإنسانية جمعاء، التي وصلت بأيدينا اليوم عن طريق الصدور والقلوب وعبر الكتب والأقلام، جيلاً بعد جيل، وهذه الخطبة هي الدليل والموجّه والموضّح للعديد من المسائل في ديننا الحنيف، وهي تنير الدّرب لطلاب الحقيقة أيضاً.

مهمّة نشر حقائق الإسلام

أدّت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام واجبها بشكل جيد، حتّى ضحّت بنفسها وطفلها البريء المحسن عليه السلام في هذا الطّريق، ونحن أيضاً في هذا الصّدد هناك واجب على عواتقنا، فواجبنا وواجب جميع السيّدات والسّادة المؤمنين، هو نقل رسالة السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى شعوب العالم جميعاً، وهذا العمل ليس بالأمر السّهل بل هو يرافقه المشقّة والصعوبة. ولا شكّ فإنّنا مستعدّون لتقبّل هذه التّكاليف، وتحمّل الأعباء والمشاكل، وهذا العمل يتمّ من خلال إطلاق القمر الصناعي، والقنوات الفضائية، والمجلات، والصحف، وطباعة الكتب، بالإضافة إلى ذلك ينبغي استخدام كلّ

الإمكانات، ووسائل الإعلام الحديثة، والمنزّهة عن الحرام، لنقل هذه المهمّة إلى شعوب العالم جمعاء.

قبل فترة، عُرض عليّ مقطع قصير من فلم وثائقي ـ وربّما شاهد مثله العديد من القرّاء الكرام أيضاً ـ وهذ الفلم كان يدور حول نهر عظيم يدخل فيه جمع كبير من البوذيين كلّ ثلاث سنوات لكي يمسحوا آثامهم وذنوبهم على حدّ زعمهم، وفي هذا التجمّع الكبير يجتمع فيه الرجال والنساء من جميع أنحاء العالم، ليمارسوا طقوسهم الدّينية على ما يبدو، وقد رأيت ذلك بشكل عابر، وتجنّبت مشاهدة كلّ الفلم، وقد كتبوا بأنه في كلّ اثني عشر عاماً يتمّ التجمّع فيه قرابة عشرين مليوناً من الرجال والنساء بشكل مختلط، ويحضرون هناك حتى يدخلوا بأرجلهم إلى ذلك الماء، لكي يكونوا طاهرين وأنقياء.

وما هو أصل هذا الاعتقاد؟ ومن أين أتى؟ فغير واضح بكلّ دقّة، ولكن هذه العقيدة كلّها مذهلة ومحيّرة، والسّؤال الذي يطرح نفسه: لماذا لا يطلبون من هذا النّهر حوائجهم الأخرى؟ وعلى سبيل

المثال: لا يطلبون منزلاً أو علاجاً؟ وأخيراً متى يدرك الحقيقة هذا العدد الكبير من الناس ببطلان هذا الاعتقاد؟!

لقد أوضحت السيدة فاطمة الزهراء الصدّيقة الكبرىعليها السلام لنا في خطبتها رؤوس النّقاط في ذلك النداء: «**أيّها الناس**»، فهي في الواقع تخاطب جميع الناس، وتحمّل الجميع مسؤولية توجيه وإرشاد الآخرين، إلاّ أن يكون المرء لا يستطيع فعل شيء، أو غير قادر على فهم ودرك هذه المواضيع، وهو عاجز عنها.

إكمال الحجّة

قالت السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام في خطبتها: «**أيّها الناس، اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد**».

كان الحاضرون في المسجد جميعهم يعرفونها تمام المعرفة، ومنذ ما يقرب من عشر سنوات عرّف النبيصلى الله عليه وآله ابنته فاطمة لأهل المدينة، وتحدّث كثيراً عن جلالة قدرها، وعظمة شأنها، وكانت هناك مئات القصص والأحداث التي حدثت، التي تعرّف من خلالها أهل المدينة على كرامة ومجد وجلالة هذه المرأة السّماوية،

ومع كلّ ذلك قدّمت السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام في بداية خطبتها، وعرّفت نفسها وأبيها المكرّم، وكانت مراد ونيّة السيّدة الزهراءعليها السلام من هذا العمل بكلّ تأكيد توضيح الواضح أبداً.

كان سعي السيدة فاطمةعليها السلام من هذا العمل إلى هدفين اثنين، وهما:

الأول: للسيّدة فاطمةعليها السلام من التّذكير بمقامها، ومنزلتها بين المسلمين، وإتمام وإكمال الحجّة عليهم، وأثّرت بهذا المعنى بحديثهاعليها السلام على بعضهم، وجعلهم يدركون خطأهم وخطأ الطريق الذي اختاروه بالخطأ، لذلك فقد تمّ التّدوين في كتب التاريخ أنّ في صبيحة ذلك اليوم والأيام التّالية بعده فتح العديد من المسلمين أفواههم للمعارضة، وبعضهم، وبهذا السبب وقعوا في المشاكل، وبعضهم تعرّضوا حتّى للضّرب، وقد تمّ رصد وكتابة هذه الأحداث في العديد من كتب التاريخ، ومنها كتاب (بحار الأنوار) للمرحوم العلاّمة المجلسي. وأولئك الذين لم يعارضوا ولم يحتجّوا فقد تمّت الحجّة عليهم، وبالتّأكيد لا يستطيعون القول بأننا لم نعرف

المتحدّثة بهذا الخطاب، كما ذكر القرآن الكريم في سيرة العاصين عندما يحاسبون يوم القيامة أمام الله عزّ وجلّ، حيث يتبرّؤون من أفعالهم الشنيعة، ويكذبون، ويقسمون بالله تعالى: إلهنا نقسم بذاتك المقدّسة على أننا لم نرتكب مثل هذه الأفعال، ويجيبهم حينئذٍ الله سبحانه وتعالى قائلاً لهم: ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[1].

تبيين الإسلام المزيف والانتقائي

قالت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام: «**اعلموا أنّي فاطمة وأبي محمّد**»، وهذه الجملة قاعدة عملية لنا جميعاً، وإنّ مهمّة كلّ واحد منّا هي نقل حقائق الإسلام إلى العالم، وإنّ أهمّ الحقائق الجديرة بالتّبليغ لشعوب العالم، هي التّعريف بالإسلام من خلال تضحية السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام لنفسها وجنينها في سبيل الإسلام، وقتل

١. سورة يس: الآية ٦٥.

المحسن عليه السلام من أجله، ويجب أن يُعرّف هذا الإسلام لشعوب العالم، وليس الإسلام المزيّف وبالاسم فقط، كالإسلام الكاذب الذي أظهره وتبنّاه بني أمية وأمثالهم للنّاس.

إنّ معاوية، ويزيد، وهارون، والمأمون، وأمثالهم فرضوا عملياً الشّرك على الناس، وذلك باسم الإسلام، فهؤلاء بينما كانوا يصلّون، ويؤدّون الحجّ، صنعوا إسلاماً سقيماً مع باطن خال وفارغ وسخيف وقدّموه إلى الناس في زمانهم، ويكشف لنا القرآن الكريم عن خصائصهم، ويصرّح عنهم، بأنّهم:

﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً × أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً**﴾[1].

إنّ الكفران الإلهي في الآية أعلاه، يقتصر على النّصارى واليهود وعابدي الأوثان، بل إنّه يشمل حتى المسلمين المصلّين، أولئك

١. سورة النساء: الآيتان ١٥٠ـ١٥١.

الذين يؤدّون أجزاءً من أحكام الإسلام، ويتركون أجزاءً أخرى التي تكون خلافاً لإرادتهم ومنفعتهم وميولهم وأهوائهم، فهؤلاء يصلّون ويصومون ويؤدّون فريضة الحجّ، ويعملون بأحكام الدين الأخرى في الظّاهر، ولكنّهم تغافلوا وضربوا عرض الحائط الأوامر والأحكام المهمّة الأخرى، كاقتداء واتّباع الإمام المنصوب من الله تعالى، والحفاظ على مقام الإمامة والوصاية للنبيّ الأكرمﷺ، بناءً على نصّ الآية الشريفة، التي ليس فيها أدنى شكّ وتردّد وغموض في ذلك، حيث قال الله جلّ اسمه: ﴿**نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ**﴾[1]، فنحن نؤمن بقسم من الأحكام ونعمل به، ولا نؤمن بقسم آخر ونرفضه، فهذه هي ماهية وحقيقة وجوهر الإسلام المزيّف. وقد حكم الحكّام المستبدّون والجائرون على مدى قرون عديدة، واحداً تلو الآخر، على أساسه وقوامه، وأعطوا الشعوب نظرة ناقصة وغير كاملة عن الإسلام، وضلّوا جيلاً بعد جيل.

١. سورة النساء: الآية ١٥٠.

اليوم في البلاد الإسلامية نشهد هذا الإسلام المزيّف والانتقائي، فأنت ترى التمسّك والالتزام بالصلاة والصيام في معظم أنحاء العالم الإسلامي، ولكن نادراً ما ترى التأسّي بعترة رسول الله الطّاهرةﷺ، أليس الله عزّ من قائل، قد قال: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ**﴾[1].

أحكام متروكة

لقد ترك لنا الرسول الأكرم محمّدﷺ شيئين ثمينين، وهما: «**كتاب الله، وعترتي أهل بيتي**»[2]. ومع هذا التّأكيد على أهل البيتعليهم السلام فمن العجب والدّهشة أنّ بعضهم قد اكتفى بالقرآن الكريم من دون أهل البيتعليهم السلام، وبعض قد رفعوا شعار: «**الله وكفى**». فهذه الجملة في حدّ ذاتها غير صالحة وليست صحيحة، لأنّ الله سبحانه وتعالى بنفسه لا ينطق بمثل هذا الحديث، بل هو قد أضاف عترة نبيّه محمّدﷺ بمعيّة كتابه الكريم ـ وفي كثير من

١. سورة الحشر: الآية ٧.
٢. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٤.

الرّوايات: هم الأفضل ـ وقد ذكر الاثنان معاً لأنهما ضروريان في سعادة البشرية، ولا مفرّ منهما معاً لتحقيق الرّخاء والهناء في الحياة، وقد ذكّر في كتابه الكريم، وعلى لسان نبيّه الأكرمﷺ البشرية مراراً، وبالطّبع فإنّ رسول اللهﷺ لن ولم ينسى أو يسهو أبداً في بيان كلمات الله عزّ وجلّ وآياته، لأنّ الله تعالى يقول في القرآن الكريم، عنه بأنّه: ﴿**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى × إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى**﴾[1].

بهذا النحو فإنّ النبي الأعظمﷺ لا يقول إلاّ الصدق والحقّ والحقيقة، ولا يقول شيئاً إلاّ عن الله عزّ وجلّ، وكلّ ما يقوله وحي منزل من الله سبحانه، ولذلك يقول النبي الأكرم محمّدﷺ:

«**إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي..**»[2].

إذاً.. قبول واحد وترك الآخر، هو عصيان لرسول اللهﷺ، وأولئك الذين يجدون أنّ القرآن الكريم وحده كافٍ لإرشادهم

١. سورة النجم: الآيتان ٣ ـ ٤.
٢. مسند أحمد: الإمام أحمد بن حنبل، ج٣، ص١٤.

وهدايتهم، فبصريح كلام القرآن الكريم نفسه هم الكافرون، والذي لا يقبل بالقرآن الكريم فإنّه بالتأكيد لا يقبل بالإسلام، ومن بين هؤلاء من الممكن أن يكون فيهم قاصرون، ولم تصل الحقيقة إليهم، ولكن المسلمين الذين رأوا وسمعوا في بداية الإسلام النبي الأكرمﷺ، ومع ذلك غضّوا الطّرف عن طاعته، ولم يعملوا بوصاياه، فإنّهم بالتّأكيد كفروا بالله سبحانه وتعالى، وبرسولهﷺ.

من الأحكام الأخرى للإسلام، هي: التّسامح مع الدَّين، والله تعالى قال في كتابه حول آداب التّعامل مع المَديون: ﴿**وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ**﴾[1].

ووفقاً لهذا الأمر، لا ينبغي طرد الشخص المَديون من بيته، ومثل هذا العمل يعدّ ضربةً لروح الإسلام، وهو حرام، وتتفق جميع الفرق الإسلامية على هذه القاعدة المسلّمة، وأجمعوا واتّفقوا بالإجماع بأنه لا يجوز إخراجه من منزله الذي يعيش فيه، وأخذه

١. سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

بدل ديونه، ولكن إذا كان يمتلك منـزلاً وأمـوالاً زائـدة عـن حاجتـه، فلا بأس حينئذٍ أخذها منه بدل ديونه، ولكـن إذا لـم يكـن المـديون قادراً على سداد دينه، فـإنّ الأمـر متـروك علـى إمـام المسـلمين أن يسدّد دَينه، وحتـى لـو مـات إمـام المسـلمين، فالـذي يـدير أمـوال المسلمين، وبيت المال تحت تصرّفه، ملزم بأداء دينه.

كما جاء في القرآن الكريم، الأمر بـ ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[1]، وورد أيضاً الأمر بـ ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[2].

إذاً العامـل بـالقرآن الكـريم لا يسـتطيع أن يأخـذ واحـداً ويهمـل الآخر، وهذه هي الحقائق الأساسية للإسلام التـي يجـب أن يسـمعها جميع شعوب العالم.

نظام سياسي مستقرّ

لقد مرّ ما يقرب من ستين عامـاً وبضـع سـنين علـى قيـام الثـورة

١. سورة البقرة: الآية ٤٣.
٢. سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

المصرية عام ١٩٥٢ ميلادية وحتى اليوم، على مـا أتـذكّر، وفـي كـلّ هذه السنوات فإنّ البلاد الإسلامية ومع الأسف الشديد كان لهـا سـيراً هبوطياً ورجعياً، وتدهور في وضعها الاجتمـاعي والأمنـي، عامـاً بعـد عام، وبالإضافة إلى ذلـك فقـد ابتُليـت تلـك البلـدان بـالفقر والقتـل والإعـدام بـلا رحمـة وبـلا قـانون، إضـافة إلـى الحـروب الكثيـرة ولسنوات عديدة. وبالطبع هذه المشاكل ليست هي ذاتهـا فـي جميـع بلاد الإسلام، فقد كانت في أمـاكن أقـلّ وفـي أخـرى أكثـر، ولكـن الكثير منها واجهوا هذه المشاكل.

بعـد الثـورة المصـرية عـام ١٩٥٢ ميلاديـة، حـدثت ثـورة ١٩٥٨ ميلادية في العراق من قبل عبد الكـريم قاسـم، وأيضـاً كانـت هنـاك تحرّكات مشابهة في بقية الدول الإسلامية، وتزامنت كلهـا مـع موجـة من القتل، وانعدام الأمن في الدول الإسلامية بالشـرق الأوسـط، وفـي تلك الأجـواء الدّاميـة والمسـمومة التـي كانـت تخـيّم علـى البلـدان العربية في تلك السنوات، أتذكّر أنني قـرأت فـي إحـدى الصـحف، بقلم صحفي لبنـاني، موضـوعاً بهـذا المضـمون: إذا كـان اليـوم فـي

بعض البلاد يمكن أن تغيّر المصير، والوضع السياسي فيها، بطلقة رصاصة واحدة، فهناك دولة تسمّى لبنان لن تستطيع أن تغيّر وضعها السياسي، ولو بملايين الرصاصات.

في ذلك الوقت بالعراق، تزامن مع اغتيال عبد الكريم قاسم، واطلاق النّار على رأسه، تغيّر الوضع في العراق وحكمه بالكامل. وفي ذلك البلد يستلم جميع الأمور شخص واحد، كمثل رئيس الجمهورية، أو رئيس مجلس الوزراء، وأمّا المسؤوليات الأقلّ فبيد المحافظ والحاكم، وكان هذا النوع من الحكم سائداً في بلدان أخرى من المنطقة أيضاً، كمصر خلال تلك العقود. وشهدت أحداث مماثلة وتغيّرات وتحوّلات أساسية، وفي غضون ذلك بقيت لبنان في أمان من كلّ تلك التّغييرات الحاصلة بفضل نشاطاتها الثقافية الواسعة، والسّائدة في ذلك البلد، وقد أعطت مواطنيها نسبة من الحرية والوعي، ولذلك لم يستطع أحد الإطاحة بحكومتها، لا بالثورات ولا بالاغتيالات، ولا يمكن انهيار نظامها السياسي في آن واحد، وفي هذا البلد فإنّ رئيس الجمهورية، أو رئيس الوزراء، أو

رئيس المجلس، ليسوا مسؤولين عن إدارة جميع شؤون البلاد، ومع غياب أحدهم لن ينهار نظام إدارة الدولة، بل سوف تواصل البلاد حياتها السياسية والاجتماعية.

في بلد كمثل العراق، وكنت شاهداً على ذلك، كانت جميع شون البلاد بيد الشخص الأول، ففي عهد عبد الكريم قاسم، وبعده عبد السلام عارف، وعبد الرحمن عارف، وطاهر يحيى، حتى وصل البعثيون إلى السلطة، كانت الحريات، وسلطات الأشخاص في المجتمع محدودة جداً، وكانت القرارات العامة للمجتمع جميعها بيد الشخص الأول في ذلك البلد، ومن خلال هذا الوصف، فمن الطبيعي أن يؤدّي إطلاق النار على الشخص الأول إلى تعطيل نظام الشؤون المجتمعية، وانتشار الفوضى، والاضطرابات. وبعد الاغتيال ربّما يؤدّي الوضع في المجتمع إلى الأسوأ أكثر، أو إلى الأفضل، ولكن ما هو المهم هو ضعف هذا الهيكل، الذي كان يستند على أنانية وجبروت وغطرسة حاكم ذلك البلد.

الحكومات المستقرّة

كانت للبنان نظاماً مختلفاً، ولم تكن صلاحيات رئيس الوزراء وغيره من المسؤولين في ذلك البلد واسعة النّطاق، حتى بغيابه يتلاشى نظام شؤون المجتمع، وكان لدى عامّة المواطنين الحريّة الكافية والمتناسبة، وهنا بقيت ملاحظة جديرة بالذّكر، وهي أنّ المصدر والخلفية لكل تلك الإنجازات هي الحرية، ولبنان ليس مثل البلدان الإسلامية الأخرى، فإنّ هيكلها الإداري تُشبه إلى حدٍ ما نظام إدارة الحكومة الإسلامية في عهد النبي الأكرمﷺ، ووصيّه بالحقّ الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالبعليه السلام، وكان هذا هو مفتاح استقرار نظام الحكم في هذا البلد، لذلك كان من المناسب أن يشير ذلك الصحفي بعد معرفة هذه الميّزة الممتازة للبنان إلى أصلها ومنشأها أيضاً.

إنّ دراسة تاريخ حكومة النبيّ الأكرمﷺ، والإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام تُلهم العديد من الحقائق حول الطريقة الصحيحة لإدارة المجتمع، ويمكن فهم أسلوب الحكومة الصّحيحة والمقتدرة من

خلال دراسة سيرة وسلوك هذين العظيمين في أيّام عهد إدارة أمور المسلمين. فالنبي الأكرمﷺ في فترة حكومته التي استمرت عشر سنوات في المدينة المنورة كان يشرف فقط على إدارة الأحكام، والإشراف على تنفيذها الصحيح، ولم يستلم أيّ إدارة أخرى. وإذا كانت لبنان لن تنهار سياستها واقتصادها بإطلاق مليون رصاصة، ولن تحكمها حكومة أو قانوناً آخر، فإنّها مستلهمة من حكومتي النبيّ الأكرمﷺ، والإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام.

الإمام أمير المؤمنينعليه السلام وبعد مرور خمسة وعشرين عاماً من استشهاد الرسول الأكرمﷺ استلم الحكومة الإسلامية، وفي وقت قصير جداً ـ أي حوالي خمس سنوات ـ قدّم أنموذجاً ومثالاً ساطعاً قلّ نظيره للحكم والحكومة وإدارة الدولة للعالم أجمع.

كان حكمهعليه السلام يمتد على أراضٍ شاسعةً جداً، فقد كان امتدادها إلى قلب أوروبا والأندلس (اسبانيا الحالية)، حتى القارة الأفريقية، وكان عدد كبير من البلدان في العالم اليوم تحت حكم الإمام أمير المؤمنين عليعليه السلام، وكان دورهعليه السلام في هذه الحكومة الواسعة مجرّد الإدارة فقط.

في منطق الإسلام الحكومة تعني إدارة أمور الناس فقط وحسب، وقد منحت بقيّة الأمور الأخرى بيد الشعب، وتحت تصرّف الناس، نعم يجب على رئيس الحكومة إدارة حكومته والبلد، وأن يمنع الأعداء من التعرّض له، ويكون مانعاً لأيّ شخص من قمع وظلم أيّ شخص آخر.

لقد اتبعت الدّول غير الإسلامية، التي تتمتّع بحرية نسبيّة، النهج الذي اتّبعه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وحقّقت نجاحات ملحوظة. ومن ناحية أخرى فإنّ الدول الإسلامية على الرّغم من ثقافتها، ومناهجها الفنّية والكاملة، فهي تجهل هذه القضايا، وهي في خضم المشاكل والحرمان، لذا فمن المناسب للمسلمين الذين يعيشون في البلاد الغربية، أن يعرّفوا أهلها على حقيقة الإسلام الناصعة، ويظهروا لهم الوجه الحقيقي له.

في رسالة (العهد) التي كتبها الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام إلى مالك الأشتر ـ عندما عيّنه والياً على بلاد مصر ـ يقول فيها: «**ثمّ استوص بالتجّار وذوي الصناعات، وأوص بهم خيراً**». أي لا

تتدخل في أعمال الناس، وما يستوردونه وما يصدّرونه، وفقط كن على حذر ألاّ ينتهك أحد حقّ الآخر، ولا يغشّ أحد في معاملاتهم.

هل الشعوب في جميع أنحاء العالم على دراية بهذه بكلّ هذه الحقائق؟ لا شكّ أنّ معظم الغربيين يجهلون هذه المعارف والمناهج العميقة للإسلام، وإنّ تعرّفهم على الإسلام الحقيقي وتعريفهم بحقائق الإسلام هو بالطّبع من أعمالنا وواجباتنا.

حينما قالت السيّدة فاطمة الزّهراء عليها السلام بين جموع المسلمين في المسجد، ولا يوجد بينهم من غير المسلمين أبداً: «**أيها الناس**»، ماذا كانت تعني عليها السلام من كلمة «**الناس**»؟ ولِمَ لمْ تخاطبهم بكلمة المؤمنين أو المسلمين على سبيل المثال؟

قبل ذلك قال النبيّ الأكرم محمّد صلى الله عليه وآله أيضاً في يوم غدير خم، ونادى: «**يا معاشر الناس**». وقبل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم وقرآنه العظيم: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ**﴾[1].

---

١. سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

فهل دعوة الناس، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، له معنى آخر غير هذا وهو أنّ الإسلام رسالة لجميع شعوب العالم؟

من جانب آخر، إنّ نشر هذه الرّسالة العالمية، وإيصالها واجب ومسؤولية في أعناقنا، تأسيّاً بأكابر الدين.

اسم الإسلام وحقيقته

اليوم هناك اسم للإسلام فقط، ولكن ليس هناك خبر عن أصل الإسلام بتاتاً، إضافة إلى ذلك، فإنّ في أغلب البلاد الإسلامية ليس فقط فيها اسم الإسلام فحسب، بل إنّها تعمل ضدّ الإسلام أيضاً، فهم قد رفعوا راية الإسلام الكاذبة والخادعة، ذلك الإسلام الذي عاشه بني أمية وبني العباس عبر تاريخهما الأسود، وربّما لم تتأثّر جميع الدول الإسلامية بهذه الكارثة، ولكن مع الأسف يوجد في معظمها إسلام زائف، يتعارض تماماً مع روح وتعاليم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمة المعصومين الطيّبين الطاهرين عليهم السلام. فكيف يمكن أن تتأسّس دولة إسلامية وشعارها الإسلام والمسلمين، ولكنّها تتفاخر بتعاليم معاوية ويزيد؟ ألم يأمرنا الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله

باتّباع الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام والتمسّك به، وأخذ ديننا وتعاليمنا ومناهجنا منه وحده؟!!

ألم يقل النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله: «**عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ**»؟[1].

وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: «**عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ**»[2].

مع كلّ تلك الوصايا والأحاديث المؤكّدة على الاقتداء بالإمام علي عليه السلام، فأيّ دليل أو حجّة تبقى باتّباع هارون والمأمون والمتوكّل؟

في العشرات من الدول الإسلامية تجد اليوم اسم الإسلام فقط، ولكن ليس إسلام أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام، بل إسلام أولئك الذين اغتصبوا الخلافة ظُلماً، وقدّموا صورة مشوّهة وقاتمة وغير جيّدة عن الإسلام للعالم، ومن حقّ شعوب العالم بالطّبع أن يرفضوا هذا الإسلام النّاقص والمعيب والمزيّف.

---

١. مناقب آل أبي طالب: ابن شهر آشوب، ج٢، ص٢٦٠.
٢. المعجم الأوسط: الطبراني، ج٥، ص١٣٥.

في الإسلام هناك ثلاثة معايير، هي:

١- كتاب الله سبحانه وتعالى أي القرآن الكريم.

٢- النبيّ الأكرم سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله.

٣- العترة الطّاهرة وهم المعصومون الأربعة عشر عليهم السلام.

يقول الله جلّ وعلا في القرآن الكريم، مخاطباً رسوله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً﴾[1]. والنبي الأكرم صلى الله عليه وآله معصوماً، وهو صاحب العصمة الكبرى، وخلال السنوات العشر من حكومته في المدينة، لم يتدخّل ولو مرّة واحدة في إدارة حكومته تدخّلاً مباشراً، فهو كان يتولّى إدارة الأعمال. وكان الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام أيضاً في كل فترة حكومته الواسعة الانتشار ـ وكانت أكبر دولة على وجه الأرض ـ لم يتدخّل في القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعائلية، طالما أنّها لا ترتبط بمصالح المسلمين وكيان الإسلام، وعلى الرّغم من أنه عليه السلام

١. سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

لم يكن يحرم الناس من نصائحه وكلماته وأحاديثه وخطبه، إلاّ أنّه لم يتدخّل في كلّ الأمور.

التأسّي بالنبي في القرض

قلنا بأنّ إيصال هذه الحقائق بقيت مهملة أو لم تُذكر، وهي من واجب الجميع. ومن جانب آخر ومع تطوّر تكنولوجيا المعلومات والإعلام والقنوات الفضائية، وسهولة الحصول عليها، فقد توفّرت أرضية نشر الحقائق الإسلامية بشكل جيّد.

منذ وقت مضى، وبحضور ضيف من إحدى الدول الإسلامية، وصل الحديث بنا إلى أن قلت له: لقد كان الإمام الحسن المجتبى عليه السلام مظلوماً للغاية.

فسأل ذلك الشخص: لماذا؟

قلت: لم يتمّ إطلاق أيّ فضائية تحمل اسمه المبارك حتى الآن.

ثمّ اقترحت عليه بتطبيق هذا العمل، وكان البلد الذي يعيش فيه، يتمتّع بنسبة من الحرية، أي لا يتمتع مواطنوه بالحرية المطلوبة والكافية والكاملة، وهو قد أشار إلى هذا الموضوع المانع والمعرقل

لهذا العمل، ولذلك اقترحت عليه العراق، بحيث أنّ العمل فيه بكلّ بساطة وراحة، كمثل شراء كيلو غرام من التفّاح.

كان قلقاً بشأن عدم قدرته واستطاعته على معالجة مشاكلها المالية. فقلت له: هل كان رسول الله ﷺ أسوةً وقدوةً لنا في صلاة الليل فقط؟ لماذا لا نجعله قدوةً في الأعمال الأخرى؟ فقد استقرض النبيّ الأكرم ﷺ مرّات عديدة من أجل إغاثة الآخرين في أعمالهم، حتى أنّه لم يستطع أن يسدّد دَينه في بعض الأحيان، ومن أجل ذلك اقترض مرة أخرى لسداد الدَين الأول. فهل هناك شيء أكثر أهمية وجدير بالاهتمام من إطلاق قناة فضائية لنشر وتعميم معارف وعلوم أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام إلى شعوب العالم؟

إنّ تعريف وتبيين الوجه الحقيقي للإسلام، وإزالة الغموض والتّهم عنه، أمر مهم، وجدير بالاقتراض من أجل تبيينه وتعريفه.

النداء العالمي

لذلك يجب متابعة هذا العمل، وتشجيع الآخرين على القيام به عبر الوسائل الممكنة، كالصحف والمجلات والكتب والأقمار

الصناعية وشبكات الاتصال العالمية (الانترنت)، وتنفيذ هذا العمل بأسرع ما يمكن.

ليس جزافاً وليس بلا سبب وبلا دليل أن تقول السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام في خطبتها الفدكية، وفي تلك اللحظة الحرجة، والضرورة الملحّة التي أخذتها إلى المسجد لقراءة الخطبة: «**أيها الناس...**». فإنّها صاحبة العصمة الكبرى، ودقيقة جداً أعمالها وأقوالها من جميع النواحي، وهي عليها السلام منزّهة عن كلّ خطأ. والشخص البسيط الذي لا يتمتّع بمثل هذه المنزلة لا يقول عادةً في جمع من المسلمين: «**أيّها الناس**»، بل الأفضل أن يخاطبهم بقول: «**أيّها المسلمون**»، أو: «**أيّها المؤمنون**».

بلى، قبل السيّدة الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام استخدم والدها النبي الأكرم ﷺ، وقبله الله سبحانه وتعالى مثل تلك العبارة. وكان للسيدة فاطمة عليها السلام هدفاً من خطابها، وهو توسيع رقعة حديثها إلى عالم أكبر وأكبر من المجتمعين في المسجد، ولكل العصور، وإلى خارج حدود بلاد الإسلام، وعلى طول التاريخ،

لجعل شعوب العالم بأجمعها أن تعرف وتفهم أحاديثها وكلماتها المليئة بالمعرفة والفكر المستنير.

إنّ السيّدة فاطمة عليها السلام وبخطابها كشفت عن أهمية، ووجوب إعلام شعوب العالم بالحقائق الخفيّة للإسلام. ولذا علينا جميعاً التأسّي بهذه السيّدة الربّانية، وأن نتبع طريقها، صغاراً وكباراً، ورجالاً ونساءً، وتجّاراً وكسبة، وفقراء وأغنياء، وحوزويين وجامعيين، وعاملين وموظّفين، ويجب علينا توعية شعوب العالم، وتعريف الإسلام الحقيقي لهم بكلّ جديّة.

هذا الواجب لا يسقط حتى عن الفقراء وضعفة الناس في المجتمع. فأغلب أنبياء الله وفي كثير من الأحيان لم ينتفعوا من حطام هذه الدنيا شيئاً، وكانوا يمضون حياتهم بالأعمال، كمثل رعي الأغنام على سبيل المثال. وكانت حياة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بسيطة للغاية، وكان لديه أقلّ بكثير من قومه وعشيرته من الأموال والممتلكات. ومع ذلك كان يستقرض المال من أجل إسعاد الآخرين ولأجل راحتهم، وكان يأخذ من شخص ليُعطي لآخر،

وبالطّبع فإنه صلى الله عليه وآله لا يلزمهم بهذا العمل، وإذا كان هناك حاجة للإلزام، فهذا الإلزام إلهي أيضاً، وإلاّ فإنّه صلى الله عليه وآله لم يكن يُجبر أحداً بإعطاء القرض، أو القيام بعمل ما.

الحرية البنّاءة في الإسلام

إنّه لجميل جدّاً منهاج الإسلام الرّائع، وتعاليمه السمحاء، لدرجة أنّنا لا نستطيع مع بيان كلمة أو اثنتين من حقائقه الخفيّة أن نكشف عن كلّ أبعاده ومظاهره الجميلة، وإنّ تاريخ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وروايات الأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام مليئة بالنّقاط الأساسية والبنّاءة للبشرية جمعاء، ويرجع التقدّم والرّقي المادي في العالم الغربي إلى عمله ولو جزئياً ببعض هذه الثقافة والتراث والمنهاج الرّائع للإسلام. فالحرية في الغرب بشأن تبادل الآراء وتعاطي الأفكار أدّت إلى تفوّقهم العلمي والتّقني الموجود لديهم، والحرية في التجارة جعلتهم أكثر ثراءً يوماً بعد يوم، ومع ذلك كلّه، فإنّهم لم يستطيعوا إلى الآن تنفيذ الأحكام الإسلامية في بلادهم بشكل كامل.

على سبيل المثال التجارة والبيع والشراء في بلدانهم ليست معفاة من الضرائب حتى الآن، فالضرائب في هذه البلدان أمر لا مفرّ منه، في حين أنّ في منهاج الإسلام، وفي سيرة النبي الأكرمﷺ، والإمام أمير المؤمنينعليه السلام في إدارة الدولة والحكومة، لا يوجد شيء اسمه الإكراه والقوّة في التجارة والعمل، وقد تفتح الحرية في التجارة الطريق أمام بعض الانتهاكات والتجاوزات من بعض الأشخاص، ولكنهم قلّة للغاية، لأنّه عندما يتمّ تلبية احتياجات الناس، فإنّ الرّغبة في الانتهاك سوف تتلاشى تدريجياً.

يُعدّ الخمس والزّكاة من الحقوق الإلزامية والواجبة على المسلمين، ويجب على الشخص الذي لديه الشروط كاملة، أداء الخمس والزكاة. والرّوايات الواردة حولها قد وردت مفصّلاً، ومنها نستطيع الرجوع إلى كتاب (وسائل الشيعة)، ونشاهد في هذه الروايات مرّات عديدة أنّ النبي الأكرمﷺ حينما يُرسل إلى المناطق والأطراف على الأغلب جباة الزكاة لجمعها، يؤكّد عليهم، ويحثّهم على عدم أخذ الزكاة بالقوّة والإكراه، حتّى أنّه وردت في بعض

الرّوايات أنّ النبي الأعظمﷺ قال للجباة بعدم تكرار طلبهم أيضاً، وإذا كانت الزكاة واجبة على أحد، ولكنه لا يدفعها، أو أنه يتظاهر ويدلي عكس الواقع، فلا تجبروه على دفع الزكاة.

قد يكون بعض الناس ممّن وجب عليهم الخمس والزكاة، ولكنّهم كانوا يكذبون ويدّعون بأنّ الزكاة لم تجب عليهم، فكان النبي الأكرمﷺ يؤكّد ويصرّ على الجباة، أن لا يستعملوا الإلحاح، ولا يكرّروا الطلب، وهذا العمل بالتأكيد تغذّي الروح الإنسانية، وإذا تمّ هذا العمل فسوف لا يبقى إلاّ القليل من الذين لا يؤدّون الخمس والزكاة.

مثل هذا ذُكر في سيرة حكومة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام أيضاً، فكان عندما يرسلعليه السلام شخصاً لجباية الزكاة وتلقّيها، يقول له: إذا قال أحد ليس عندي، اتركه، ولا تقل له شيئاً.

أجل... قادتنا الأبرار غذّوا الفضيلة في المجتمع، وربّوا الناس على الفضيلة، ومعظم الناس إذا لم يكونوا بحاجة إلى المال والمعاناة، فإنّهم عادةً يستهجنون الكذب، ويجب ألاّ يعاقبوا على

ارتكابهم مخالفات قليلة، ولكن سيرة من حكم بعد النبي ﷺ كانت مختلفة تماماً، ولم يمرّ عام واحد على استشهاد النبي الأكرم ﷺ حتى وضعوا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام جانباً وعزلوه، وأرسل المغتصبون للخلافة جباة الزّكاة إلى النّواحي والأطراف، وقاموا بكلّ الوسائل، وشتّى الطّرق بجباية الزكاة من الناس بالقوّة والإكراه.

كان العديد من المسلمين يقولون بأنّ النبي ﷺ قد عيّن ونصّب الإمام علياً عليه السلام وصياً له، ولم تكن هذه طريقتهما وأسلوبهما، ولكن الاحتجاجات لم تصل إلى نتيجة، وكان جباة الزكاة يجمعون ويأخذون الزّكاة بالقوة والإكراه والتهديد، وبهذا الخصوص قتلوا بعضهم، وفي إحدى الحالات، قام رئيس جباة الزكاة بقطع رأس زعيم قبيلة، ثمّ اغتصب زوجته المحصّنة والمؤمنة والمخلصة.

الإسلام النبوي والإسلام الأموي

مع كلّ ما مرّ ذكره، هل يجب أن نأخذ ونتعلّم الإسلام من هؤلاء؟!! وهذه الحالة التي نعيشها اليوم ووصلنا إليها، وإنّ كلّ ما نعانيه هو من إسلام بني أمية وبني العباس، ويصل الأمر إلى حالة

أن يزيداً لعنه الله يقتل الإمام الحسين عليه السلام باسم الإسلام، مع أنّ الآلاف من المسلمين كانوا شهوداً على محبّة وحبّ النبي الأكرم ﷺ للإمام الحسين عليه السلام، وكان حديثه ﷺ يجري على الألسن بحقّ أبنائه الطاهرين، وذلك حينما قال: «**الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة**».

لقد مرّ على استشهاد النبي الأعظم ﷺ قرابة خمسين سنة، ولم تزل الكثير من الأحاديث بشأن الإمام الحسين عليه السلام جارية في أذهان الناس وعلى ألسنتهم، لكن قتلوه باسم الإسلام، وزعموا وادّعوا بأنه خارجي، وأفتوا بأنّه: «**خرج عن دين جدّه فدمه هدر**»[1].

هذا الإسلام أخس وأسقط من الإسلام الإسمي أيضاً، فهذا ضدّ الإسلام، بل هو إسلام كاذب ومزيّف. ولو لم يك الأمويون والعباسيّون بالوجود، لما وجدنا اليوم في العالم حتى كافر واحد. فهذا الإسلام المزيّف والوضيع والبعيد عن الإنسانية إذا وصل لأيّ

---

١. شرح احقاق الحق: السيد المرعشي، ج٢٩، ص٦٠٩.

شخص، فمن حقّه أن يرفضه ويبتعد عنه.

إنّ وحدة موضوع الضّرائب تكفي لاستكشاف واستطلاع أعماق الأحكام الإسلامية، فهل تجد دولة في العالم لا تفرض الضّرائب على مواطنيها، وتعتبرها غير ملائمة؟ و هل أنّ تلك الضّرائب التي يتلقّونها هي ضرائب إسلامية؟ لأنّ الإسلام فرض ضريبة على أربعة أشياء فقط.

الخطوط الحمراء للإسلام ـ كما مرّ ذكرها ـ هي ثلاثة: القرآن الكريم، والنبي الأكرمﷺ، والعترة الطّاهرةعليهم السلام. وفي الإسلام فإنّ هذه الثّلاثة هي الملاك والمعيار، ولا شيء له معيار غير تلك الثلاثة، وكلّ شيء يطابق ويوافق مع هؤلاء الثلاثة فصحيح، وكلّ شيء يخالف ويعارض الثّلاثة المذكورة، فغير صحيح وخاطئ، وعلى سبيل المثال: القرآن الكريم يصرّح حول «**الدّين**»، بأنّه لا ينبغي إلزام المديون بمطالبة الدَين إذا أنفقه في طريق الحلال، وبقي غير قادر على تسديده، فلا يمكن إجباره على التسديد. وفي حديث للنبي الأكرمﷺ، الذي هو من أحد المعايير الحمراء في الإسلام،

والملاكات الثلاثة، حول المديون، بهذا المضمون: إذا مات المديون، ولم يك لديه مالاً، فأنا رئيس الحكومة الإسلامية، أضمن أداء دينه.

ليت على رؤوساء الحكومات المعاصرون، يكونوا قدوة كمثل النبي الأكرمﷺ، ويقوموا بمثل هذا الادعاء.

إنّ لحكومة النبي الأعظمﷺ الآلاف من الخصائص، والامتيازات الممتازة، وهذه النقطة هي واحدة من تلك الآلاف، ويجب على المرء والمسلم أن يحاول يبيّن مظاهر حكومة النبي العادلة إلى العالم، وهذا العمل ممكن في عصرنا مع الحرية الموجودة فيه، بينما لم يك ذلك ممكناً في أيام بني أمية وبني العباس، وكانت هذه الفرصة متاحة بصعوبة بالغة قبل أكثر من مائة عام.

يجب تقديم إسلام النبي الأكرمﷺ، وإسلام الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، وإسلام الإمام الحسنعليه السلام والإمام الحسينعليه السلام، وإسلام السيّدة فاطمة الزهراءعليها السلام، وبقيّة الأئمة الطيبين الطاهرينعليهم السلام إلى العالم أجمع، وتقع على عواتقنا جميعاً

مسؤولية التهاون والتقصير في القيام بذلك، وليس المهم إن قبلها الناس أو لم يقبلوها، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿**فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾[1].

هناك رواية توضّح سيرة المولى صاحب العصر والزمان الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وتقول بشأنه: «**يسير بسيرة جدّه أمير المؤمنين** عليه السلام».

إذاً... الإمام القائم عجل الله فرجه الشريف الذي يملأ الأرض قسطاً، كما ملئت ظلماً وجوراً، والذي يُزيل المساوئ، ويقيم الاعوجاج، سوف يسير بسيرة جدّه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله، وسيرة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وسوف يتبع طريقهم، ولهذا من المستحسن واللائق أن نقدّم سيرة وحكومة هذين العظيمين إلى العالم أجمع.

معيار تشخيص الشعائر الحسينية

إنّ تعظيم الشعائر الحسينية المقدّسة هي واحدة من أهمّ الأوامر الدينية التي تمّ التأكيد والإصرار عليها كثيراً، ومنها الآية

١. سورة الكهف: الآية ٢٩.

القرآنية الكريمة التي تقول: ﴿**وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ**﴾[1].

وبغضّ النّظر عن كلّ هذا التّأكيد والإصرار والوصايا، فإنّ الأعمال التي يتمّ تنفيذها كعنوان لإحياء الشّعائر الحسينية، جميعها حلال وصحيحة، ومن وجهة نظر القرآن الكريم بلا مانع أيضاً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**﴾[2].

لقد نشر بعض الأصدقاء صورة لطفل كان يقوم بتنظيف أحذية الزّائرين في مسير المشاة في الأربعين الحسيني، ويقبّل أقدام زائري المولى أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

نعم، لم يسمح الإمام زين العابدين عليه السلام لأبي حمزة الثّمالي أن يقبّل قدميه، ولكنّه لم يقل بأنّ هذا العمل حرام، وإذا قبّل أبو حمزة الثمالي قدمي الإمام المباركتين، فإنّه كان يقوم بعمل صحيح وجائز.

١. سورة الحج: الآية ٣٢.
٢. سورة الحج: الآية ٧٨.

ولم يك رسول الله ﷺ، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام، يأكلان من خبز القمح، فهل نستطيع أن نقول بحرمة ذلك؟ وفي رواية أنهم أحضروا حلوى إلى الإمام علي عليه السلام، فلم يأكل منها، فقالوا له: «**أتحرّمه يا أمير المؤمنين؟!**». فقال عليه السلام: كلا، ولكنّني لا آكل.

إنّ تقبيل أقدام زوار الإمام الحسين عليه السلام ليس عملاً مشيناً، بل هو تجليل واحتفاء بمقام الزائر الحسيني وبمكانته، وبالتّالي من الشعائر الحسينية المقدسة، وليس جائزاً فقط بل جدير ولائق أيضاً. بلى لا ينبغي أن ننظر إلى ممّن يقبّل أقدام الزّائرين بنظرة تحقير واشمئزاز، ففي التّحقيق والاستقصاء اللذين أجريا حول ذلك،تبيّن أنّ فيهم المهندس والطبيب أيضاً، وهذا يعني أنّ من الناس من ذوي المكانة المرموقة ومن مختلف فئات المجتمع يقومون بهذا العمل المقدّس.

في مكان آخر نقلوا لي أنّ شخصاً استقلّ سيارة أجرة في إحدى المدن من البلاد الإسلامية، وفي سياق الحديث عن الزيارة، ذكر ذلك الشخص وقال بأنّه قام بزيارة العتبات المقدّسة في تلك السنة، وحينما سمع سائق الأجرة هذا الحديث منه، بدأ

في طرح أسئلة متتالية على ذلك الزائر وقال: هل ذهبت إلى كربلاء؟ قال نعم. وقال هل ذهبت للنجف؟ قال نعم، وقال هل ذهبت إلى سامراء؟ قال نعم، وقال ماذا بشأن مدينة الكاظمية؟ فشعر الزّائر بالملل والإحراج، وقال للسائق: لماذا تسأل كلّ هذه الأسئلة؟ فانحنى سائق الأجرة وقام بتقبيل أقدام الزائر. فقال الزائر: لم فعلت هذا؟ قال السائق: لأنّك مع هذه الأرجل تشرّفت إلى تلك الأماكن المقدّسة، وبالتأكيد فإنّ هذه الأرجل وجدت شيئاً من المكانة والشّرف والكرامة الخاصة.

بالتأكيد فإنّ تقبيل أقدام زائر الإمام الحسين عليه السلام هي واحدة من الشّعائر الحسينية المقدّسة، وقد يعتقد بعض الناس أنّ هذا العمل ليس له ما يدعمه في الروايات والأحاديث، ولا يوجد حديث عن الأئمة الطاهرين عليهم السلام في هذا الصدد، فهو عمل غير صحيح، وليس جزءاً من الشّعائر الحسينية.

في الردّ عليه نقول: هل كانت قبّة مرقد الإمام الحسين عليه السلام وضريحه الطّاهر موجودة في عهد الأئمة عليهم السلام؟

بالتّأكيد لم تك موجودة هذه القبّة الطاهرة، ولكنّها تحظى باحترام كبير، وشرف عظيم، لأنّها اكتسبت من صاحب ذلك المكان الطهارة والقداسة، ولهذا السبب يقبّلونها.

بعد كلّ ذكرناه، فإنّ طرح مثل هذه الشبهات والإشكالات بعيدة كل البعد عن المنطق والصواب، وغالباً ما يسمع بها من قبل أشخاص أمّيين وجهلة. فتقبيل أقدام الوالدين ليس بحرام، بل هو عمل جدير ولائق وجيّد، ولكن تقبيل أقدام شخص يسير ماشياً أو راكباً إلى مقام سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه يعدّ جزءاً من الشعائر.

على العموم، فإنّ أيّ شيء لا يكون حراماً في نفسه، ويكون فيه نوعاً من الإجلال والاحتفاء بالإمام الحسين عليه السلام وزيارته، يُعدّ من الشعائر. فضرب السّلاسل، وهي شعيرة مشهورة محترمة أيضاً، لم تك موجودة في زمن الأئمة عليهم السلام، وعلى هذا الأساس فإنّ خروج التجمّعات العزائية، وبقية طرق وأشكال العزاء، التي ربّما لم تكن أيّاً منها مألوفةً في ذلك الوقت، ولكنّها جميعاً لديها شرطين من

الشروط المذكورة أعلاه، ولذلك فإنّها تُعدّ من الشعائر المقدّسة، وإنّ إقامة الشعائر الحسينية أمر قد صادق عليهما القرآن الكريم، والرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، والأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام، أي الأركان والملاكات والأعمدة الثلاثة لمناهجنا ومعاييرنا الدينية.

أسأل الله تعالى أن يوفّقنا لإقامة وإحياء الشعائر الحسينية المقدّسة أكثر من السابق والماضي.

وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين

الفهرس

تجليل وتقدير ٣
اقتراض المال لإقامة الشعائر ٥
تعامل الإسلام مع المديون ٦
إسلام فارغ ٨
المعارض للشّعائر ١٤
جزاء إحباط الناس ١٨
مفهوم: «أيها الناس» ٢٢
مهمّة نشر حقائق الإسلام ٢٥
إكمال الحجّة ٢٧
تبيين الإسلام المزيّف والانتقائي ٢٩
أحكام متروكة ٣٢
نظام سياسي مستقرّ ٣٥
الحكومات المستقرّة ٣٩
اسم الإسلام وحقيقته ٤٣

التأسّي بالنبي في القرض ٤٦
النداء العالمي ٤٧
الحرية البنّاءة في الإسلام ٥٠
الإسلام النبوي والإسلام الأموي ٥٣
معيار تشخيص الشعائر الحسينية ٥٧
الفهرس ٦٣